المصدر: القبس

التاريخ : ١٩٧٨/٤/٢٢

تايم

ظهور حزب الوفد في مصر

مقدمة لتحولات مشابهة في دول عربية

الدخول الى « فيللا » فؤادسراج الدين بالقاهرة يشبه الدخول الى عالم الثروةوالامتيازات الذي كان قائما منذ قرن مضى ، فالمالك وبيته« الرخامي المنيف » بما فيه من عالية ظليلة وكراس مذهبةباهتة ومتآكلة نوعا ما ، كل ذلك يرمز الى ايام الملك فاروقوكأن ناصر لم يوجد ابدا .

ومع ذلك ، وبكل ما في الامر من تناقض ، فان فؤاد سراج الدين يمثل ثورة سياسية جديدة من نوع جديد ويمكن أن يكون لها تاثيرها على الحياة السياسية المصرية بشكل قد يصل في مداه البعيد الى درجة التاثير التي كانت لثورة ناصر . ففؤاد باشا ، الرجل البدين الذي تجاوز السبعين والذي يفضل تدخين « سيكار » يشبه « سيكار » تشرشل والذي يحب ان يعرف برتبته العثمانية هو زعيم حزب الوفد الجديد الذي يقود الان تحولا نحو اليمين في السياسة المصرية.

و « الفيللا » التي يستقبل فيها سراج الدين ، اخر وزراء الداخلية الوفديين قبل الثورة ، تصبح بشكل متزايد بؤرة النشاط السياسي في مصر، ففي مساء كل اثنين يجتمع طلاب الجامعة في غرفة أمامية يمكن لاي انسان أن يدخل منها على فؤاد سراج الدين قائد الحزب كما لو انهم جاءوا ليقابلوا « قديسا » سياسيا جديدا .

ولكن هؤلاء الطلاب لا يقبلون الايدي كما يفعل الفلاحون القادمون من مصر العليا والذين يتذكرون ايام الوفد القديمة عندما كان من الضروري على الفلاح ان يدلي بصوته كما يشاء اصحاب الاراضي حتى لا يفقد مصدر رزقه .

وبالرغم من ذلك فان فؤاد سراج الدين يمثل بالنسبة للطلابوالفلاحين ايضا بديلا عن حكومة مصر الحالية وفرصة حقيقية للتعبير السياسي .

ان عودة حزب سراج الدين الى الظهور وشعبيته المفاجئة دليل على الاحباط السياسي الذي عانى منه المصريون منذ عام ١٩٥٢ عندما تم حل الوفد والاحزاب السياسية الاخرى جميعا .

ويدعي المسؤولون عن شؤون الحزب انهم سجلوا عضوية خمسين الفشخص حتى الان ، وانه حتى هذا الرقم لا يمثل الا جزءا من قوة الحزب التي لم تعبر عن نفسها بعد . وعند ميلاد الحزب في مجلس الشعب في فبراير الماضي كان لديه ٢٤ عضوا بالبرلمان ولكن الحزب يؤكد انه كان بالامكان ان يكون لديه اكثر من ثلاثة اضعاف هذا العدد لولا تدخل الاتحاد الاشتراكي .

ويعتقد المحللون السياسيون ،على أية حال ، ان الوفد يبالغ في تقدير رصيده الشعبي الذي يرجع اصله الى أوضاع ما قبل الثدرة . فالتاييد التقليدي هو المسؤول عن انضماممعظم الشباب الى فؤاد السرج الدين بالرغم من اختلافهم الشديد عنه وعن سياساته فالغالبية العظمى من هؤلاء الشباب يذهبون للقاء سراج الدين ليلة يوم

الاثنين من كل اسبوع لمجرد ان اباءهم تعودوا أن يعطوا اصواتهم للوفد قبل الثورة .

ويقول سراج الدين « عندما ياتي الشباب فانهم يسمعون تاريخ بلادهم الحقيقي لاول مرة ويكتشفون انهم خدعوا وضللوا ويكتشفون ايضا ان تاريخنا يزخر بكل ما هو طيب مما يزودهم بافكار للمستقبل .

نتيجة لذلك فان الحزب الجديد الذي أصبح ، في وقت قصير ثاني حزب في مصر من حيث الكثرة العددية يجتذب مؤيدين من كل التيارات سواء من اليساريين او من المسلمين المتمسكين بالاسلام كاساس للنشاط السياسي والاجتماعي .

ويقول سراج الدين . كما كان يحدث في الماضي تماما فان الحزب يمثل الامة باسرها ويجب ان تمثل فيه كل الافكار . الشيء الوحيد الذي نصر عليه هو أن يؤمن العضو بسياساتنا وبنظام حزبنا ، وما عدا ذلك فان افكار الشخص هي ملك له .

وأكبر الخاسرين من بعث حزب الوفد هو حزب الاحرار الذي يتزعمه مصطفى كامل مراد فقد خسر مراد تسعة من النواب الموالين لحزبه بانضمامهم لصفوف الوفد . وعلى المدى الطويل يبدو ان حزب مصطفى مراد سوف ينتهي بان يذوب في حزب الوفد . وأن كان « مراد » في رأي أحد خبراء السياسة الخارجية سياسيا قديرا ولا بد ان يطفو في موضع اخر.

وليس حزب الاحرار وحده هو الذي يتهدده ظهور الوفد بسياساته العريضة ومبادئه الشاملة ومرونته الفكرية ولكن هناك ايضا ما يشير الى ان بعض اتباع خالد محيي الدين ، وهو ايضا من الضباط الاحرار مثل مصطفى كامل مراد ، قد تحولوا الى الوفد بسبب شكوكهم في مستقبل السياسات اليسارية في مصر ، فاليساريون يجدون انفسهم عرضة للاعتقال والمضايقات المتكررة بسبب عداء الرئيس السادات لكل شيء له صلة ، ولو من بعيد ، بالشيوعية .

ونظرا للتنظيم الجيد لحزب الوفد والخبرة السياسية التي يتمتع بها قادته فمن المتوقع ان يحقق نتائج طيبة في الانتخابات المقبلة ، بعد ثلاث سنوات من الان ، بل ان البعض يتوقع ان يحصل على اغلبية مقاعد مجلس الشعب . ولكن التوقعات الاكثر واقعية (من خمسين الى تسعين مقعدا من مجموع مقاعد المجلس البالغ عددها ٣٦٠ مقعدا) تبدو أرجح ، ولحزب مصر الحاكم حاليا ٣٠٥ اعضاء من المقاعد بمجلس الشعب .

والخلافات السياسية بين حزب الوفد وبين حزب مصر الحاكم غير محددة تحديدا واضحا حتى الان ولكن المؤكد ان الوفد الجديد سوف يمثل معارضة حقيقية للحكومة ، وقد بدأت المناقشات التي تدور في مجلس الشعب تتخذ بالفعل طابعا نقديا اكثر حدة .

وركائز « المانيفستو » السياسي لحزب الوفد هي الديمقراطية الكاملة والاقتصاد الحر غير المشوب بافكار واشتراكية . ويقول احد انصار حزب الوفد « ان الرئيس السادات يفضل التحول الى الديمقراطية خطوة خطوة أما نحن فنريد التحول الكامل والفوري الى الاشتراكية فنحن مستعدون لها ، وكنا كذلك منذ سنوات .

ويريد الوفديون لسياسة الانفتاح الاقتصادي أن تمضي قدما وبسرعة أكبر وبحوافز تشجع المهارات والمواهب المهاجرة على العودة من أوروبا واميركا حيث ذهبوا للبحث عن فرص افضل للمعيشة والتكسب ، وهم يريدون ايضا

مزيدا من تشجيع الاستثمار الاجنبي، وتخفيض الجزء المخصص للنفقات العسكرية من موازنة الدولة والذي يبلغ اربعين بالمائة من هذه الموازنة، وكذلك تطوير استثمار المناطق التي يمكن لمصر الاستفادة منها في السياحة والزراعة . ويعتقد الوفد أن زيادة الاستثمار قد تؤدي الى مضاعفة الرقعة المزروعة وما ينشأ عن ذلك من زيادة انتاج القطن .

وعلى صعيد السياسة الخارجية يقول رجال الوفد أن « السياسة تتوقف عند حافة الماء » وايد الحزب مبادرة السادات السلمية وسياسته الحيادية المعلنة ، الى حد غير متوقع حيث يطالب الحزب بضرورة سداد الديون للاتحاد السوفيتي .

ويقول احد اساتذة العلوم السياسية ان السادات لم يواجه حتى الان التناقض بين مركزية السلطة وبين الديمقراطية ، وهو يرغب رغبة اصيلة في تحقيق الديمقراطية ولكن ايضا لا يريد ان يفلت زمام السلطة السياسية من يده ولم يواجه هذا التناقض حتى الان .

ويقول الوفديون انهم لم يدعوا ابدا بانهم متجهون الى احداث ثورة مضادة، وقد حرص « مانيفستو » الوفد على التعبير ، ولو بالالفاظ فقط ، عن تقدير الحزب لانجازات ثورة ١٩٥٢ ولكنهم يواصلون مهام الثورة التصحيحية التي قام بها السادات عام ١٩٧١ ، والتي اعلن فيها عن عزمه على القضاء على العقلية البيروقراطية المستبدة التي خنقت التقدم في مصر ، ويبدو من المحتمل ان يساعد حزب الوفد على التعجيل بهذا العمل ، اي بالقضاء على البيروقراطية والاستبداد ، بل ان هذه الاختيارات السياسية في مصر سوف يكون لها تاثيرها على النظم العربية المحافظة الاخرى .